أمن مكة المكرمة والمشاعر في مواسم الحج

من خلال كتاب: شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي

الدكتور
بسام بن
عبدالعزيز
الخراشي*

* بكالوريوس من قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الملك سعود عام ١٤٠٣-١٤٠٤هـ.
- ماجستير في التاريخ الإسلامي من قسم التاريخ بالكلية والجامعة نفسها ١٤١٣هـ.
- دكتوراه من قسم التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٦هـ.
- يعمل الآن أستاذاً مساعداً بقسم التاريخ والحضارة بالكلية والجامعة نفسها.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن توفر الأمن والاستقرار في مكة والمشاعر، وكذلك في الدروب الموصلة إليهما ؛ من الشروط الضرورية لأداء نسكي الحج والعمرة على الوجه الذي شرعه الله وبيّنه نبيه محمد ﷺ.

فالأمن وانتظام شؤون الحياة وزوال المخاوف مدعاة ليسرة الحياة والنماء بالشكل المناسب والصحيح، ومما يحفز الإنسان على المضي في أداء واجباته التي كلف بها بكل طمأنينة وارتياح نفسي وبدني .

فالإنسان القلق المرعوب الذي ينتابه الشعور بالتهديد والخطر لا يمكن أن يصنع حضارة، أو ينجز عملاً يفيد الإنسانية، إذ إن البيئات التي يسودها القلق والخوف ليست تلك البيئات المحفزة المناسبة لإنجاز الأعمال الحضارية الكبرى.. ومن هنا دعا نبي الله إبراهيم عليه السلام ربه بأن يجعل الله مكة بلداً آمناً،

وأن يرزق أهله من الثمرات، فدعا عليه السلام لمكة بالأمن الذي يشمل الأمن من الجرائم، والأمن من العدوان على النفوس، والأمن من الفوضى والاضطراب، وكذلك الأمن من الجوع بتوفير الثمرات والأرزاق : أي الأمن الغذائي والتمويني .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(1) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾(2). وفي الآية الأخرى: ﴿ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(3) .

وقد جعل الله الحرم مكاناً آمناً تجبى إليه الثمرات . قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(4) .

وجاء عند البخاري في صحيحه قول النبي ﷺ : "إن هذا البلد حرمه الله ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته إلا من عرَّفها"(5) وفي رواية عند مسلم : "إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يعضد بها شجرة" (6) .. والدارس لتاريخ مكة والمشاعر

(1) سورة البقرة ، الآيتان : ١٢٥ - ١٢٦ .

(2) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٥.

(3) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٧ .

(4) سورة القصص ، الآية : ٥٧ .

(5) **كتاب الحج**، باب فضل الحرم، الحديث رقم (١٥٨٧) .

(6) **الجامع الصحيح**، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها الحديث رقم (١٣٥٤) .

خلال مواسم الحج بالرغم من أهميته: إلا أنه لم يجد فيه العناية الكافية من قبل المؤرخين، سواءً كانوا من أبنائها أو غيرهم ، فلا نرى من تتبع تاريخ مكة وخططها وآثارها بعد وفاة مؤرخيها البارزين أبي الوليد الأزرقي (ت بعد ٢٤٤هـ)، وأبي إسحاق الفاكهي (ت بعد ٢٧٢هـ) حتى قيض الله تعالى لها تقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ) ، الذي حاول أن يتدارك ما أهمل من تاريخ مكة عبر القرون بما ألفه من كتب حاول خلالها تغطية جوانب من هذا التاريخ المتعدد الأبحاث ، لا سيما وأن الكثير مما جاء به من معلومات قد بني على المعاينة المباشرة . وسيكون التركيز في هذا البحث إن شاء الله على دراسة (أمن مكة المكرمة والمشاعر في مواسم الحج) من خلال كتاب:" شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" لتقي الدين الفاسي (ت ٨٣٢هـ).

وقد يأتي تساؤل : لماذا كتاب: (شفاء الغرام) ؟

وللإجابة عن ذلك نقول :

١ - إن مؤلف هذا الكتاب كما ذكرنا يعد من أبرز مؤرخي مكة، وله تراث علمي ضخم جله في تاريخ مكة وأهلها وآثارها.

٢ - القيمة العلمية للكتاب، حيث استوعب مؤلفات السابقين؛ من مواد علمية وأضاف إليها . وقد تميز الكتاب بالاستقصاء لتاريخ مكة المكرمة، وآثارها، وخططها .

٣ - إن المؤلف تطرق في كتابه لأخبار مكة في مواسم الحج منذ عام ٢١هـ وحتى زمانه ، وهذا الحقبة الزمنية تعطي الباحث مجالاً واسعاً في استنطاق ما جمعه حول هذا الموضوع؛ وهذا الواقع الذي تميز به كان من الأسباب التي شجعتني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه .

ووفق ما أملته المادة العلمية المتاحة، واقتضته طبيعة الدراسة؛ فقد تم تناول الموضوع عبر محورين:

جاء المحور الأول منهما بعد هذه المقدمة : ليلقي الضوء على شخصية تقي الدين الفاسي وآثاره العلمية،لا سيما كتابه : (**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**) .

أما المحور الثاني : وهو مرتكز الدراسة ، فكان عن أمن مكة المكرمة والمشاعر في مواسم الحج من خلال ما أورده الفاسي في كتابه: (شفاء الغرام) .. وفيه أميط اللثام عن أشكال التهديدات الأمنية التي تعرضت لها مكة والمشاعر في مواسم الحج من فتن واضطرابات ، وأزمات غذائية، وتهديدات عقدية وفكرية، وأخرى كونية من كوارث السيول، وانتشار الأمراض والأوبئة وخلافه ، ثم نأتي بعد ذلك للخاتمة وفيها حاولنا تتبع أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة .

وأخيراً أسأل الله أن يوفقني لتقديم عمل جديد يخدم تاريخ مكة وتراثها العريق، كما أسأله أن لا يحرمني ثواب هذا العمل، وأن يتجاوز بمنه وكرمه عن الزلات والسيئات ؛ إنه قريب مجيب الدعوات، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً. والحمد لله رب العالمين .

المحور الأول : تقي الدين الفاسي ؛ حياته و آثاره العلمية(1):

١ - اسمه ونسبه ومولده :

تكاد المصادر التي بين أيدينا تجمع على أن نسب الفاسي ينتهي إلى الحسين ابن علي رضي الله عنهما . وهو "محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن

(١) تناولت الفاسي مؤرخ مكة مقالات وأبحاث لعل من أبرزها :
- مقال كتبه علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في **مجلة المنهل** وهو بعنوان : تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة"، المجلد السابع ، سنة ١٣٦٦هـ ، ص٥٤٢-٥٤٦ .
- بحث كتبه الدكتور عبد الله بن عقيل عنقاوي وشارك به في ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية التي نظمتها جامعة الملك سعود عام ١٣٩٧هـ وهو بعنوان : "المؤرخ تقي الدين الفاسي وكتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام وهذا البحث موجز ويقع في صفحات ==

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن سعيد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علي بن حمود بن ميمون بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن إدريس بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ولد في ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسة وسبعين وسبعمائة بمكة المكرمة[1] كنيته : أبو عبد الله ، وأبو الطيب، ولقبه: تقي الدين ، ونسبته:الفاسي الحسيني،المكي، المالكي ، واشتهر بقاضي المالكية بمكة[2] .

== قليلة ، يراجع : **أبحاث ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية** ·- ط١ ·- الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٣٩٩هـ ،ج٢/٦١-٦٧.

- دراسة بعنوان : "**تقي الدين الفاسي ومنهجه في التدوين التاريخي** " وهي رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٢هـ ؛ إعداد الدكتور فهد بن عبد العزيز بن محمد الدامغ ، وقد درس حياة تقي الدين الفاسي ، وسمات وخصائص منهجه وأثره في المصادر اللاحقة .

(١) الفاسي ، محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ) . **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ؛ تحقيق محمد الفقي ·- ط١·- القاهرة ، د. ت ، ١٣٨٩هـ ، ج١، ص٣٣١ .

وللمزيد عنه يراجع :

- السخاوي ، شمس الدين محمد (ت ٩٠٢هـ) . **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ·- ط١·- بيروت : دار مكتبة الحياة ، د.ت ، ج٧ ، ص١٨ .
- السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) . **طبقات الحفاظ** ؛ تحقيق علي محمد عمر ·- ط١·- القاهرة: مكبة وهبة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، ص٥٤٤ .
- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحق (١٠٨٩هـ) . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ·- ط١·- القاهرة : مكتبة القدس ، ١٣٥١هـ ، ج٧ ، ص١٩٩ .
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) . **البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع**·- ط١ ·- القاهرة ، د.ن ، ١٣٤٨هـ ، ج٢ ، ص١١٤ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين** ، ص٣٣١ .

٢ - نشأته وعلمه :

نشأ الفاسي، في بيت علم وشرف، فوالده كان أحد العلماء البارزين في المجتمع المكي آنذاك وكانت له يد طولى في الفقه والأصول والعربية ، وكان ذا معرفة تامة بالأحكام والوثائق . شغل منصب القضاء بمكة عدة مرات[١]. كان الفاسي منذ طفولته شغوفاً بالدراسة وطموحاً إلى التحصيل العلمي، وكان جو الأسرة مشجعاً له على ما يريد؛ فأبوه الفقيه القاضي كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق المعرفة[٢].

وكما هو متوقع كان أول شيء اتجه إليه الفاسي في بدء مسيرته العلمية دراسة القرآن الكريم ، فقد حفظه وهو في سن مبكرة[٣] . ودرس الحديث النبوي على يد نخبة من كبار الشيوخ والعلماء ومنهم : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدمشقي[٤] ، ثم درس بعد ذلك " صحيح البخاري " ، و"مسند الدارمي " ، و "صحيح مسلم" و "جامع الترمذي" و "سنن أبي دارد " و "سنن ابن ماجه و النسائي" ، كما سمع أيضاً" الموطأ لمالك ، وحفظ ألفية ابن مالك في النحو[٥].

٣ - رحلاته العلمية:

لم يطفئ ظمأ الفاسي وتعطشه للعلم ما وصل إليه ، فاعتزم الرحلة في طلبه والسعي إلى حملته ، وكانت رحلاته على جانب كبير من الأهمية ، وكان أثرها

(١) أحمد بن علي بن محمد . ولد سنة ٧٥٤هـ وتوفي سنة ٨١٩هـ بمكة . يراجع ترجمته . **الفاسي**، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٠٩ .

(٢) نفسه ، ج١ ، ٣٣٢ .

(٣) نفسه ، ص٣٣٢.

(٤) ولد سنة عشرين وسبعمائة بدمشق ، وكان مشهوراً بالخير والعفاف مع كونه لم يتزوج قط . توفي سنة ٨٠٦هـ ، الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج٣ ، ص٢٥٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٣ .

واضحاً في زيادة ثقافته ومعرفته ، وتوسيع مداركه، ، وفهمه للأمور الدينية والدنيوية : ولعله استطاع خلال تلك الرحلات أن يجمع مادة لا يستهان بها عن تاريخ البلد الحرام عبر العصور، وغيره من الموضوعات التي يهتم بها ، وكانت هذه الرحلات داخلية ، وخارجية .

أ - **الرحلات الداخلية**: اقتصرت رحلات الفاسي الداخلية على زيارة المدينة المنورة ، وهناك قابل عدداً من علمائها، ودرس "تاريخ المدينة " للمطري على يد الشيخ برهان الدين بن فرحون(١)، كما سمع هناك عدداً من الدروس والمحاضرات(٢).

ب - **الرحلات الخارجية**: وشملت هذه الرحلات كما مر بنا كلاً من مصر، والشام، واليمن، ودرس على الكثير من علمائها ومشايخها، ولعله استطاع خلال رحلاته العلمية أن يجمع مادة علمية لا يستهان بها، انعكس على إنتاجه العلمي الضخم.

٤ - السجايا والصفات:

تصف المصادر التي بين أيدينا الفاسي بأنه رجل حسن الخلق ، يحسن العشرة، ويحترم العلماء والدارسين، ويحسن التعبير في الحديث(٣) .

قال عنه السخاوي : "إنه بحر علم وكثير فوائد ، ولم يخلف بالحجاز مثله ، وكان إماماً علامة فقيهاً حافظاً للأسماء والكنى ... " درس وأفتى وحدث بالحرمين، والقاهرة، ودمشق، وبلاد اليمن.... وكان ذا معرفة بالشيوخ والبلدان ، وكان ذا يد طولى في الحديث والفقه والتاريخ والسير ... مفيد الحجاز وعالمها ، لطيف الذات ،

---

(١) "قاضي المدينة ومفتيها" انظر : الفاسي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٣٣ .

(٣) السيوطي . **طبقات الحفاظ** ، ص٥٤٤ ، ابن العماد . **شذرات الذهب** ،ج٧، ص١٩٩، الشوكاني . **البدر الطالع** ، ص١١٤.

حسن الأخلاق .. وحسن عشرة، وحلاوة لسان، بحيث يجلب القلوب بحسن عباراته.. واسع الحفظ[1] ".

٥ - وظائفه :

اقتصر عمل الفاسي طوال حياته في مجال التدريس والقضاء؛ فقد تولى منصب قضاء المالكية بمكة المكرمة لأول مرة في عام (٨٠٧هـ) بأمر من الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق[2] . وفي عام (٨١٤هـ) تولى بجانب وظيفته بالقضاء وظيفة التدريس ، فقد درس فقه المالكية بالمدرسة السلطانية بمكة، واستمر على هذا الوضع حتى عام (٨١٩هـ) ، حيث وصل توقيع من الشريف يقضي بعزله عن منصب قاضي المالكية ، وتعيين قاضٍ آخر بدلاً منه وكان هذا القرار خطيراً بالنسبة له ، ولكن لم يلبث أن وصل توقيع آخر من الشريف عام (٨٢٠هـ) يقضي بعودته إلى وظيفته السابقة قاضياً للمالكية بمكة وأعمالها، واستمر يتقلب في هذه الوظيفة حتى نهاية حياته[3].

٦ - مرضه ووفاته :

مرض الفاسي في أواخر حياته ، وأصيب بالعمى؛ حيث فقد بصره في عام (٨٢٨هـ) ، وتدهورت حالته الصحية ، حتى توفي في شوال سنة (٨٣٢هـ)، رحمه الله تعالى[4] . ويقول عنه رفيقه الحافظ ابن حجر : " رافقني في السماع كثيراً بمصر

(١) **الضوء اللامع** ، ص١٩ .

(٢) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٣٤١ .

(٣) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج١ ، ص٣٤٠ .

(٤) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ص١٩ ، السيوطي . **طبقات الحفاظ** ، ص٥٤٤، ابن العماد ، المصدر السابق ، ص١٩٩ ، الشوكاني ، المصدر السابق ، ص١١٤ .

والشام واليمن وغيرها ، وكنت أوده وأعظمه وكنت معه في مهماته ، ولقد ساءني موته ، وأسفت على فقد مثله ، فلله الأمر"[1] .

٧ - **مؤلفاته وآثاره العلمية:**

خلف تقي الدين الفاسي رحمه الله ثروة ثمينة من الكتب والرسائل تؤلف في مجملها مكتبة خاصة يرجع إليها ويستقي الباحثون من مناهلها العذبة الصافية .

وتشير المصادر التي بين أيدينا إلى أن بعض تلك المصنفات والرسائل قد ضاع وفقد ؛ لأنه كان يشترط في وقفها أن لا تعار لمكي[2] .

على أي حال، فإن للفاسي مؤلفات متنوعة في الحديث والفقه والتاريخ ، ويمكن بيان أبرزها الذي أمكن التعرف إليه على النحو التالي :

١ - **مؤلفاته في الحديث :**

- أربعون حديثاً متباينة الأسانيد خرجها عام (٧٩٩هـ)[3].
- فهرست يشتمل على مروياته الحديثية بالسماع والإجازة، ألفه عام (٨١٢هـ)[4].

٢ - **مؤلفاته في الفقه :**

ولعل من أبرزها كتاب : إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك ، وكتاب : الإيقاظ من الغفلة والحيرة في مسألة إقرار ابن ظهيرة[5] .

---

(١) ابن حجر، شمس الدين محمد (ت ٨٥٢هـ). **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ** ٠- ط١٠- حيدرأباد : دائرة المعارف، ١٣٩٥هـ، ج٨، ص١٨٧.

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ٨٩ .

(٣) الفاسي . **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، ج١/ ٣٤١ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢٤١ .

(٥) المصدر نفسه ، ٣٤٦ .

٣ - مؤلفاته في التاريخ :

- كتاب: " **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** " طبع الكتاب لأول مرة في عام (١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م). على نفقة الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله[١] . وهو كتاب ضخم الحجم ، ويقع في ثماني مجلدات، ويعد بحق المرجع الوافي لتراجم أعيان أهل مكة ، ومن سكنها، ومن وردها، ومن له علامة أو مات بها من الرواة والعلماء والفقهاء والولاة والأعيان وغيرهم ، على مدى ثمانية قرون تقريباً . نهج فيه مؤلفه نهج من سبقه من العلماء الذين أفردوا مصنفات خاصة لتراجم أهل بلد بذاته ، كالخطيب البغدادي[٢] في (**تاريخ بغداد**) وأبي القاسم ابن عساكر[٣] في : (**تاريخ دمشق**) وغيرهما . وقد نظم الفاسي كتابه، ورتبه على حروف المعجم، وبدأه بالمحمدين والأحمدين . وبدأ أولاً بترجمة الرسول ﷺ . ثم ذيل ذلك بأبواب في الكنى والألقاب والأنساب وتراجم النساء[٤] .
- كتاب: "**تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام**" وهو اختصار لكتابه "**شفاء الغرام** " ويسمى أيضاً (**تحصيل المرام في تاريخ البلد الحرام**)[٥] .

---

(١) وزير المالية والاقتصاد الوطني في المملكة عام ١٣٨٠هـ .

(٢) الحافظ. أبو بكر أحمد بن علي . ولد سنة ٣٩٢هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ، يراجع " ابن الأثير، علي ابن محمد (ت ٦٣٠هـ) . **الكامل في التاريخ**. - ط٥ . - بيروت، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ، ج٨ ، ص١١٠.

(٣) على بن الحسين . ولد سنة ٤٩٩ ، وتوفي في سنة ٥٧١هـ ، يراجع ترجمته عند : ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء (ت ٧٧٤هـ) . **البداية والنهاية** . - ط٦ . - بيروت : ،مكتبة المعارف ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ج١١، ص٢٩٤ .

(٤) الفاسي ، الجزء الثامن .

(٥) الفاسي ، المصدر السابق ، ج١، ص٣٤٢ .

- (**هادي ذوي الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام**) وهو مختصر من الكتاب السابق (**تحفة الكرام**)" [١].
- "**الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة**" وهو مختصر من كتابه السابق : "**هادي ذوي الأفهام**"[٢] .
- كتاب : "**عجالة القرى للراغب في تاريخ أم القرى**" وهو مختصر من كتاب : "العقد الثمين"[٣] .
- كتاب: "**بغية البصارة في ذيل الإشارة** " للحافظ أبي عبد الله الذهبي[٤].
- كتاب : "**اختصار كتاب حياة الحيوان**"[٥] للدميري .
- (**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**) . ونقف عند هذا الكتاب؛ فهو صحيح النسبة للفاسي، حيث ذكر في معظم المصادر التي تناولت ترجمته . وقد رتبه على أربعين باباً ، دون فيه تاريخ مكة عبر العصور منذ القدم حتى عصره ، وذكر خططها وآثارها وما جاء في فضلها ، وعني أيضاً بإبراز الحوادث والأعمال التي تمس أمن مكة في شكل حوليات وعلى نسقه سار بعض مؤرخي مكة،أمثال ابن فهد صاحب كتاب : **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** ، والجزري صاحب كتاب : (**الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**) وغيرها .

طبع (**شفاء الغرام**) لأول مرة في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، وقام بتحقيق أصوله

(١) الفاسي ، المصدر السابق ، ص٣٤٢ .

(٢) الفاسي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٤٢ .

(٣) نفسه ، ص٣٤٣ .

(٤) الفاسي . **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، ص٣٤٣ .

(٥) محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري . من أهل دميرة بمصر . من فقهاء الشافعية ، يراجع ترجمته السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج١٠، ص٥٩ .

والتعليق على حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء، وبذلوا مجهوداً كبيراً في إعداد هذا الكتاب للنشر، وقامت مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة بطبعه وتوزيعه، كما طبع الكتاب عام ١٤٠٥هـ بتحقيق عمر عبد السلام تدمري ويقع في مجلدين(١) .

على أي حال يشير الفاسي في مقدمة كتابه إلى الباعث له على تأليف هذا الكتاب؛ وهو رغبته وشوقه إلى معرفة أخبار مكة خلال الفترة التي تلت عهد مؤرخها الأزرقي(٢) حتى أيامه، ويقول : "وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكة بعد الأزرقي للتأليف على منوال تاريخه ، ومن تركهم تأليفاً لتاريخ مكة يحتوي على معرفة أعيانها من أهلها وغيرها من ولاتها وقضاتها وخطبائها وعلمائها ورواتها ، كما صنع فضلاء غيرهم من البلاد لبلادهم . كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ومن بعده تاريخ دمشق لابن عساكر ... وغير ذلك من تواريخ البلاد ، وقد وفقني الله تعالى لجمع شيء من هذا المعنى حداني إلى جمعه أني تشوقت كثيراً لمعرفة ذلك وتتبع ما ألفه الناس من التواريخ والطبقات والمعاجم والمشيخات(٣) .

ويشير بعض الباحثين إلى أن عمل الفاسي هذا قد استقبل بتشجيع كبير من طلاب العلم والشيوخ والعلماء ، ومنهم رفيقه ابن حجر العسقلاني (٤). وهذا بالتأكيد كان حافزاً عظيماً له على هذا العمل الكبير.

(١) طبع في بيروت ٠- دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ ، ط١ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة الأزرق الغساني. توفي بعد سنة ٤٤٢هـ . يراجع ترجمته ، الفاسي . **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، ج٢ /٤٩ .

(٣) الفاسي ، المصدر السابق ، ج١، ص٤-٥ .

(٤) ملوارد . **مصادر تقي الدين الفاسي عن تاريخ مكة من القرن الرابع حتى القرن الثامن الهجري** . أبحاث الندوة العالية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة ٠- ط٠٥١- الرياض : جامعة الملك سعود ، ج٢ ، ص٣٧ .

المحور الثاني: أمن مكة المكرمة والمشاعر في مواسم الحج من خلال كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام:

إن مفهوم الأمن في الدراسات الحديثة ذو دلالات وأبعاد واسعة .. وهذا المفهوم الشامل هو المعادل لما اصطلح فقهاء المسلمين على تسميته بحفظ الكليات الخمس (الدين ، والنفس ، والعقل، والنسب، والمال) فهذه الكليات تستغرق جميع مفردات الأمن الإنساني، وتستوعب مختلف حقوله ومصالحه[1]. وهناك من يقول : إن الأمن يشتمل على جوانب متعددة منها : الأمن على الحياة والأموال، والأمن من غوائل الجوع والعطش، كما أن الأمن يشتمل على صيانة الأفكار والمعتقدات واحترام حق الحياة، وصيانة الأنساب والأعراض ، وحفظ الأموال والممتلكات[2] .

وانطلاقاً من هذا المفهوم الشامل، واستناداً إلى ما تضمنه كتاب : (**شفاء الغرام**) حول ما تعرض له أمن مكة من أخطار وتهديدات في مواسم الحج ، فإننا نقسم أشكال تلك التهديدات الأمنية إلى الأقسام التالية:

١ - الفتن والاضطرابات في المواسم .

٢ - الأزمات الغذائية والتموينية ونقص المياه .

٣ - جناية السرقة ونهب أموال الحجاج.

٤ - التهديدات الكونية (كوارث السيول، وانتشار الأوبئة)

---

(١) يراجع : نور الدين بن مختار الخادمي . الهندسة الوراثية والإخلال بالأمن ، **مجلة البحوث الأمنية** ٠- الرياض ، مج ١٨ ، العدد ٢٤ ، ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ، ص١٨-١٩ .

(٢) إبراهيم الجو ير . دور الأمن في نهضة المجتمع من منظور علم الاجتماع وأحداث التاريخ ، بحث منشور ضمن كتاب : **الأمن العام وأثره في بناء الحضارة**٠- الرياض : المركز العربي للدراسات الأمنية ، ١٤١٠هـ، ص١٧٢ .

٥ - مخاطر التدافع والازدحام.

٦ - تهديدات الأمن العقدي.

أولاً : الفتن والاضطرابات في المواسم :

شهدت مكة والمشاعر فتناً وقلاقل في مواسم الحج حصدت أرواح الكثير من الحجاج .. جاءت هذه الوقائع والأحداث مجانبة بل ومصطدمة مع المبادئ الإسلامية الواجبة، التي يخضعها هذا الطرف أو ذاك للتأويل أو التفسير في بعض الأحوال ؛ لكن الشأن في مكة المكرمة واضح كل الوضوح، ولا عذر لأحد في انتهاك حرمتها، وارتكاب أعمال الفتن فيها من سفك دم ونهب مال في الموسم .

رصد الفاسي فتناً شنيعة هددت أمن مكة المكرمة في مواسم الحج ومنها : ما حدث في سنة ٢٠٠هـ حيث نهب الحجاج بستان ابن عامر قرب مزدلفة إذ قدم الحجاج مكة عراة منهوبين[١] . ما حدث في سنة (٢٥١هـ) ، حيث لم يقف الناس بعرفة لا ليلاً ولا نهاراً وقتل فيها خلق كثير بسبب فتنة إسماعيل بن يوسف العلوي[٢] .

وفي موسم عام (٢٦٢هـ) حدثت بمكة فتنة عظيمة بين الجزارين والحناطين فخاف الناس أن يبطل الحج[٣] .

وفي سنة ٢٦٦هـ وثب الأعراب على كسوة الكعبة وانتهبوها و أصاب الحجاج فيها شدة شديدة[٤] .

(١) **شفاء الغرام** ، ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ٢/٢١٧ . توفي سنة ٢٥٢هـ، يراجع: ابن الجوزي. **المنتظم**، ج٢/٧٥.

(٣) **شفاء الغرام** ، ٢١٨، وذكرها الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) . **تاريخ الأمم والملوك** ٠- ط٠١- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٧هـ ، ج١٠/٤٠٣.

(٤) **شفاء الغرام** ، ٢١٨ .

وفي حج عام (٢٦٩هـ) كان قتال بين الحجاج المصريين والعراقيين[١] ، وتكرر مثل هذا القتل في مكة سنة (٣٤١هـ) بين الحجاج العراقيين والمصريين بسبب الخطبة[٢].

وفي سنة (٣٦٣هـ) ، خرج بنو هلال وجمع من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً .... وضاق الوقت وبطل الحج[٣] .

وفي سنة (٤١٤هـ) وقعت بمكة فتنة عظيمة قتل فيها عدد من الحجاج المصريين ونهبوا بسببها[٤] .

وفي موسم حج عام (٤٦٨هـ) كانت في مكة فتنة بين الحجاج العراقيين وبين العبيد في مكة[٥].

ومنها : قيام أمير مكة سنة (٥٣٩هـ) بالتضييق على الحجاج وهم يطوفون ويصلون، حيث لم يرقب أصحابه فيهم إلاًّ ولا ذمة بسبب الخلاف بين الأمير هاشم ابن فليته، وأمير الحج العراقي[٦] ، وقد وصف ابن الأثير ما جرى بأنه فتنة عظيمة؛ لدرجة أن أمير الحج نظر الخادم في العام التالي لم يذهب على رأس الحج؛ لأن بينه وبين أمير مكة من الحروب مالا يمكنه معه الحج[٧] ومن الفتن الدامية ما جرى في حج عام (٥٥٧هـ)، حيث لم يتم الحج لأكثر الناس لصدهم عن دخول مكة

(١) **شفاء الغرام** ، ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢١١-٢٢٢.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٢٤.

(٥) المصدر نفسه ، ٢٢٨ ، وذكرها ابن كثير في **البداية والنهاية** ، ج٢ / ١١٣ .

(٦) **شفاء الغرام** ، ج١/٢٢٩، وذكرها ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج٢/٥٠٨.

(٧) يراجع : **الكامل في التاريخ** ، ج٩/١٠ .

والسعي والطواف، بسبب فتنة جرت بين أمير الحج وأمير مكة، وسببها جماعة من عبيد مكة أفسدوا الحج بمنى؛ فنفر عليهم بعض أصحاب أمير الحج فقتلوا جماعة، ورجع من سلم منهم إلى مكة . وجمعوا جمعاً وأغاروا على جمال الحجاج وأخذوا قريباً من ألف جمل؛ فنادى أمير الحج في جنده فركبوا بسلاحهم. ووقع القتل بينهم فقتل جماعة ونهب جماعة من الحجاج وأهل مكة(١) . كذلك حدثت فتنة وحرب بين أمير مكة وأمير الحج العراقي سنة (٥٧١هـ) ، وحدث قتال بين بعض الحجاج العراقيين وبين بعض الأهالي(٢). ومن الفتن ما جرى بسبب عدم التفاهم بين أمراء الحج القادمين من العراق والقادمين من الشام.. حيث تنشأ المشكلة في بداياتها عن أمور صغيرة تتعلق بتنظيم حركة الحج، ثم يتطور الأمر إلى مخاصمة، وسل للسلاح في تلك المواطن والأزمنة الشريفة .. ففي عام (٥٨٣هـ) قال الفاسي : كانت بعرفة فتنة بين الحجاج العراقيين والشاميين استظهر فيها العراقيون على الشامين وقتل من الشاميين جماعة ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم إلا أنهن رددن عليهم ، وجرح ابن المقدم أمير الركب الشامي جراحات أفضت به إلى الموت في يوم النحر ، وسبب هذه الفتنة أنه لم يسهل على طاشتكين أمير الركب العراقي ما قصده ابن المقدم من الدفع من عرفات قبله،فنهاه عن ذلك فلم يقبل ابن المقدم ذلك فأفضى الحال إلى قتال الفريقين . فكان ما جرى"(٣) .

ولم ينته مسلسل الفتن في القرن السابع الهجري بمكة بمجيء أسرة حسنية جديدة للحكم، وهي الأسرة التي استهل عهودها المتعاقبة الشريف قتادة (٥٩٧ -

---

(١) **شفاء الغرام** : ٢٢٩ ، والخبر عند ابن الجوزي . **المنتظم** ، ١٨/ ١٧١ ، ابن الأثير . **الكامل** ، ١١/ ٢٨٨.

(٢) الفاسي . المصدر السابق ، ٢٣٠. وذكرها ابن الأثير . **الكامل في التاريخ** : ٩/ ١٣٨.

(٣) المصدر السابق ، ٢٣٢.

٦١٧هـ): فالعلاقة المضطربة بين إمارة مكة والخلافة العباسية في كثير من السنوات تنعكس على الأوضاع الأمنية في موسم الحج .. يساعد على ذلك ضعف قادة الحج العراقيين بعد طاشتكين وتضعضع مكانة الخلافة العباسية، وازدياد الأخطار المحدقة بها . وقد شهدت بعض مواسم الحج فتناً واضطرابات بين الحجاج وأتباع الشريف قتادة . ومنها ما جرى بمنى سنة (٦٠٧هـ) بين العراقيين وأهل مكة من أتباع الشريف، وكذلك وقعت في السنة التالية فتنة عظيمة يوم النحر بين الفئتين قتل فيها الحجاج العراقيون ونهبوا نهباً ذريعاً . وكان معظم الفتنة بمنى وقد كان سببها أن بعض الإسماعيلية من أهل العراق وثب على ابن عم قتادة فقتله عند الجمرة، فلما سمع بذلك قتادة قال : لا أبقيت من حجاج العراق أحداً ، ما كان المقصود إلا أنا واتهم أمير الركب بذلك ، وتداعت الأحداث بعد هذا حيث لجأ قائد الحج العراقي وأتباعه إلى منزل قائد الحج الشامي ، وأقام الناس ثلاثة أيام في الموسم بين قتيل وجريح ومسلوب وجائع وعريان[(١)] .

وفي حج ٦١٦هـ يشير الفاسي إلى أن الحج شهد فصلاً من فصول الفتن والاضطرابات في غمرة النزاع بين الحسن وراجح ولدي قتادة على الحكم، ودخول أمير الحج العراقي طرفاً في ذلك النزاع ، وقد هزم عسكر أمير الحاج، أقباش، وقتل وعلق رأسه ، وقيل أنه نصب بالمسعى. وقد أمن الحسن بن قتادة الحجاج العراقيين بعد ذلك ، فأقاموا بمكة عشرة أيام وعادوا، فوصلوا إلى العراق وعظم الأمر على الخليفة، فوصلت الرسل من مكة إلى دار الخليفة تتضمن الاعتذار وطلب العفو[(٢)]. وفي سنة ٦٨٩هـ وقعت فتنة بين الحجاج وأهل مكة ، وتقاتلوا في الحرم[(٣)].

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٢٣٢/٢ ، وقد ذكرها عمر بن فهد . **إتحاف الورى** ، ١٢/٣.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٣٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٤١.

وفي أواخر عهد الناصر العباسي (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) ذهب وهج الخلافة، وضعف دورها في مكة، وبرزت قوى جديدة في اليمن والشام ومصر كان لها الأثر الأكبر في الشأن السياسي بمكة، ومع ذلك ظلت الفتن تطل برأسها بين الفينة والأخرى .

فقد شهد القرن الثامن الهجري فصلاً من الفتن والاضطرابات الشنيعة لعل من أبرزها ما حدث في سنة ٧٠٥هـ ، حيث حصلت حرب بين المصريين والحجازيين بمنى أيام الحج[١]، وفي سنة ٧٤٣هـ حصل بين أمير الحج والأشراف قتال عظيم بعرفة . ولم يعتمر كثير من الحجاج ولم يطوفوا طواف الوداع خوفاً على أنفسهم[٢].

وفي موسم حج عام ٧٥١هـ قبض على صاحب اليمن في منى من قبل أمير مكة ومعه أمير الحج المصري، فقاتلهم أصحاب صاحب اليمن ، وعظم عليهم الأمر وقتل كثير منهم لاجتماع الناس عليهم[٣] ، وفي سنة ٧٦١هـ كان بمكة فتنة بين أهلها وبين الترك[٤]، وفي موسم عام (٧٨٨هـ) قام بعض الباطنية بقتل أمير مكة محمد بن أحمد بن عجلان[٥]، فحج الناس في تلك السنة خائفين على أنفسهم وأموالهم[٦].

وفي موسم حج عام (٧٩٧هـ) كان بمكة قتال ونهب في الحجاج في يوم التروية وفي ليلة عرفة، وسبب هذه الفتنة أن بعض القواد[٧] اختطف شيئاً في

---

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤٧.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٤٧.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٤٨.

(٥) تولى إمارة مكة سنة ٧٨٠هـ . الفاسي ، المصدر السابق ، ج٢/٢٠٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ٢٥٠ .

(٧) مفرده قائد : وهم أتباع أشراف مكة ، وهم بمثابة الأمراء للملوك ... يراجع عبد الرحمن بن مديرس المديرس، نفوذ القواد العمرة والحميضات لدى أشراف مكة المكرم ، بحث منشور ضمن كتاب : **مكة المكرمة** -- الرياض : دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ ، ص١٧٩ .

المسجد الحرام، واحتمى ببعض أصحابه، فجرى بينهم وبين الحجاج مقاتلة بالسيوف داخل المسجد الحرام وامتدت خارجه[1].

ويلاحظ أنه كان لأمراء مكة دور في إثارة جزء من هذه الفتن،إلى جانب الخلافات بين أولئك الأمراء وقادة الحج العراقيين والمصريين وهذا ساهم في تصعيد الاضطرابات وتأجيج الصراعات في البلدة المقدسة،كما شكلت تعديات عبيد مكة على الحجاج عاملاً مصعداً لهذه الفتن الدامية . ويصور الفاسي بعض الفتن التي عاصرها وشاهدها ، ومنها ما حدث سنة ٨١٢هـ بين أهل مكة وبين أمير الحج المصري من مشاجرة عظيمة أفضت إلى قتل بعض الحجاج ونهبهم ولم يحج بسبب ذلك من أهل مكة إلا اليسير[2]، وفي سنة (٨١٧هـ) وقع في المسجد الحرام فتنة عظيمة "انتهكت فيها حرمة المسجد كثيراً لما حصل فيه من القتال بالسلاح والخيل مع إراقة الدم فيه وروث الخيل وطول مقامها فيه . وسبب ذلك أن أمير الحج المصري أدب أحد غلمانه القواد المعروفين (بالعمرة) على حمله السلاح لنهيه عن ذلك وسجنه فرغب مواليه في إطلاقه فامتنع الأمير، فلما صليت الجمعة هاجم جماعة من القواد المسجد الحرام من باب إبراهيم راكبين خيولهم وبعضهم لابس لأمة الحرب وبعضهم عار منها وانتهوا إلى مقام الحنفية فلقيهم الترك والحجاج واقتتلوا فخرج أهل مكة من المسجد فتبعهم الترك والحجاج فقاتلوهم"[3] .

على أي حال يلاحظ من خلال معالجة الفاسي للوقائع والأحداث أن الدوافع المادية والأطماع عند بعض الفئات الاجتماعية في مكة كان لها دور في إثارة الفتن

(١) **شفاء الغرام** ، ٢٥١ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٢.
(٣) المصدر نفسه ، ٢٥٦.

التي تُزهق بسببها أرواح الحجاج وتذهب أموالهم، ويضاف إلى ذلك الأوضاع السياسية الداخلية المضطربة لحكومة مكة في عهد الأشراف الهوا شم والقتاديين مع وجود عهود نعمت فيها مكة بالأمن ؛ إلا أن عدم الاستقرار وانتظام تداول الحكم كان غالباً في تلك الأزمنة .

وحقيقة ينبغي أن تقال هنا ؛وهو أنه منذ خروج مركز الدولة الإسلامية خارج الجزيرة العربية ، وخاصة بعد ضعف العباسيين ، فإن الأوضاع الأمنية كانت تسير في طريق غلب عليه الاضطراب والفتن .

ثانياً: العطش وقلة المياه وغلاء الأسعار:

لا يخفى أن العطش وقلة المياه في أي زمان ومكان يعد تهديداً أمنياً يهدد حياة سائر المخلوقات ، فالماء عنصرٌ أساس لاستمرار الحياة وفقدانه يؤدي لا محالة إلى الهلاك والعطب ، قال تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾(١) .

ويشير الفاسي إلى وقوع الكثير من هذه التهديدات، والتحديات في مكة خلال مواسم الحج ومن الأمثلة والنماذج ما وقع في موسم حج عام (٢٩٥هـ) من عطش عظيم أدى إلى وفاة الكثير من الحجاج ، وقيل إن أحدهم كان يبول في كفه ثم يشربه من شدة العطش(٢)، كما حملت المياه إلى مكة في موسم عام (٧٠٧هـ) فوق ألفي جمل وراحلة من اليمن ومصر بسبب شح المياه في الموسم، وقلة سقوط الأمطار سنين متوالية(٣) وعاد الكثير من الحجاج إلى ديارهم في موسم عام (٧٢٥هـ) بسبب قلة المياه في مكة والمشاعر(٤).

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠ .

(٢) **شفاء الغرام** ، ٢/٢١٨.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٧٣.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٤٥.

وقد عاصر الفاسي بعض تلك التهديدات ، ومنها ما وقع في موسم حج عام (٨٠٠هـ) ، حيث توفي عدد كبير من الحجاج اليمنيين بقرب مكة بسبب قلة المياه والعطش الشديد[١].

كما يصاحب قلة المياه وندرتها في الغالب وقوع أزمات غذائية وتموينية بسبب غلاء الأسعار، ومنها ما حدث في عام (٧٣هـ) ، حيث وقع غلاء وأصاب الناس مجاعة شديدة، وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم[٢] .

وفي سنة ٢٦٠هـ اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام فانجلى من أهل مكة الكثير ورحل عنها عاملها[٣].

وفي سنة ٢٦٨هـ حدث في مكة غلاء شديد وشدة بسبب ارتفاع سعر الخبز والمواد الغذائية[٤]، وفي سنة ٤٤٠هـ شمل الغلاء والوباء جميع البلاد بمكة والعراق والموصل[٥].

وتكرر وقوع الغلاء بمكة عام (٤٤٧هـ) وندرة وجود الخبز، فأشرف معظم الحجاج على الهلاك؛ فأرسل الله عليهم من الجراد ما ملأ الأرض ، فتعوض الناس به، ثم عاد الحجاج فسهل الأمر على أهل مكة[٦].

كما شهد القرن السادس الهجري وقوع بعض الأزمات الغذائية والتموينية منها: ما حدث سنة (٥٦٩هـ) ، حيث وقع غلاء عظيم أكل الناس خلاله الدم والجلود

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** : ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦٩ وذكر ابن الأثير . **الكامل في التاريخ** ، ج/٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ٢٧.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٧٠.

(٥) المصدر نفسه ، ٢٧٠.

(٦) المصدر نفسه ، ٢٥١.

والعظام ومات خلق كثير .ولكن الله فرج عن المسلمين بصدقات وصلات لأهل الحرمين من المستضيء بالله العباسي (٥٦٦-٥٧٥هـ)[١] ، ومن السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي أسقط الضرائب عن الحجاج القادمين عن طريق البحر[٢] ، وقد أشار الرحالة ابن جبير إلى هذه الصورة الإيجابية للأوضاع التموينية والغذائية خلال موسم عام ٥٧٩هـ ، حيث ذكر أن مكة تميزت هذا العام بكثرة نعمها ولين سعرها ، وأن ذلك الوضع جاء مخالفاً للعوائد السالفة عندهم . وأشار إلى ما خصت به من الخيرات والبركات ، ورأى أن قدوم الميرة من أهل السراة الذين يرغدون معايش أهل البلد من أسباب ارتفاع شظف العيش عن مكة، ولذلك فإن أهل مكة كانوا يستبشرون بقدومهم استبشاراً كثيراً حتى أنهم أقاموه عند نزول المطر[٣] .

كما يشير الفاسي إلى أن مكة شهدت تحسناً اقتصادياً وأمنياً ملحوظاً خلال الفترة من (٦٢١- ٦٢٤هـ)، وجد الحج فيها هنيئاً مريئاً من رخص الأسعار والأمن في الطرقات، وسهل على الحجاج دخول الكعبة ليلاً ونهاراً مدة قيام الحجاج في مكة ، ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً حيث شهدت مكة في النصف الأخير من القرن السابع غلاءً لم يسمع بمثله أبداً ، واستمر عدة مواسم متوالية منذ عام (٦٦٣هـ) وحتى نهاية القرن كان آخره وقع عام (٦٩٥هـ)[٤] .

لم ينته مسلسل غلاء الأسعار، ووقوع الأزمات الغذائية والتموينية في مكة في القرن الثامن الهجري .. ويلاحظ أن بعضها نتج عن عوامل سياسية ، كما حدث في

---

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٤٣١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٣١.

(٣) **رحلة ابن جبير** ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١٤٠ .

(٤) **شفاء الغرام** ، ٢٧١.

عام (٧٠٧هـ)، حينما انقطعت الميرة عن مكة من صاحب اليمن لوجود خلاف بينه وبين صاحبي مكة حميضة ورميثة ابني أبي نمي[١]، وكما حدث أيضاً في عام (٧٦٠هـ) حيث خلت مكة من الناس خلواً عظيماً وتفرقوا في سائر الأقطار لأجل الغلاء وجور الحكام[٢].

ويشير الفاسي إلى أنه حصل تحسن ملموس في أسعار المواد الغذائية والتموينية في بعض الأزمنة ، ففي عام (٧٢٨هـ) كانت مكة في غاية الطيبة والأمن والرخاء ، القمح الإردب بأربعين درهماً والدقيق بثمانية... وبها من الخير وكثرة المجاورين ما لا يسمع بمثله"[٣] .

وعلى الرغم من هذا التحسن في الأسعار والرخاء والأمن ؛ إلا أن مسلسل الأزمات الغذائية والتموينية لم ينته في مكة والمشاعر ، ففي سنة ٧٤٧هـ حصل في مكة غلاء عظيم أيام الموسم والحج ، وربما استمر إلى سنة ٧٦٠هـ حيث خلت مكة خلواً عظيماً وتفرق الناس في سائر الأقطار لأجل الغلاء وجور الحكام[٤]. وفي موسم حج عام (٨١٥هـ) عندما وصل الحجاج إلى مكة تهافتوا على جميع المأكولات، فارتفعت الأسعار جميعها ارتفاعاً لم يعهد بمثله في زمن الموسم وشمل ذلك المشاعر عرفة ومنى[٥].

على أي حال، فإن قلة المياه وندرتها، ووقوع الأزمات الغذائية والتموينية بسبب

---

(١) المصدر نفسه ، ج٢/٢٧٢ ، وقد تولى حميضة ورميثة إمرة مكة سنة (٧٠١هـ) . يراجع الفاسي، المصدر نفسه ، ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٧٣.

(٤) المصدر نفسه ، ١٣٧-٢٧٤.

(٥) المصدر نفسه ، ٢٧٥.

ارتفاع الأسعار، شكلت في الواقع تهديداً مباشراً على أمن مكة والمشاعر في معظم الأزمنة والحقب التاريخية.

ثالثاً : جناية السرقة ونهب المال :

تعد جناية السرقة ونهب المال من الأعمال النكراء التي تحمل في طياتها مجموعة من الجنايات ، وصور الإخلال بالأمن وما قد يصاحبها في أحوال كثيرة من قتل للنفوس البريئة، وترويع للحجاج والآمنين في مكة والمشاعر .

ويشير الفاسي إلى الكثير من تلك النماذج والأحوال ، ولعل من أبرزها ما حدث في موسم حج عام (٢٦٩هـ) عندما وثب الأعراب على كسوة الكعبة وانتهبوها وأصاب الحجاج فيها خوف شديد[١] .

وفي موسم حج عام (٦٩٨هـ) حصل للحجاج بعرفات ومكة سرقة ونهب وأخذت ثيابهم التي عليهم وقتل منهم عدد كبير [٢] وحدث أيضاً في سنة (٧٣٠هـ) في المسجد الحرام والخطيب على المنبر فوضى بين الحجاج وركب الناس بعضهم بعضاً ونهبت الأسواق وأمتعة بعض الحجاج[٣] .

ويلاحظ أن التعدي والنهب يأتي أحياناً من قبل أمراء مكة وأعوانهم كما حدث في موسم عام (٥٣٩هـ) ، قال الفاسي : "نهب أصحاب هاشم بن فليتة أمير مكة الحجاج وهم في المسجد الحرام يطوفون ، ويصلون ولم يرقبوا فيهم إلاً ولا ذمة"[٤].

(١) **شفاء الغرام** ، ج٢/٢١٨.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤٢

(٣) المصدر نفسه ، ٢٤٥.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٢٩.

وفي موسم حج عام (٦٠٨هـ) "ثار عبيد مكة والأشراف وصعدوا على الجبلين بمنى وهللوا وكبروا وضربوا الناس بالحجارة والمقاليع والنشاب ، ونهبوا الناس يوم العيد وليلته واليوم الثاني"(١) .

ولقد عاصر الفاسي الكثير من هذه التعديات والتهديدات، ومنها ما حدث في المشاعر من سلب ونهب في موسم عام (٧٩٧هـ)(٢) ، وما حصل أيضاً للحجاج وهم في طريقهم إلى عرفة في موسم عام (٨١٧هـ) قال: "خرج عليهم الحرامية فقتلوا وجرحوا ونهبوا وعقروا الجمال وكنا بالقرب ممن أصاب هذا البلاء فلطف الله تعالى ولم يصبنا مثل الذي أصابهم"(٣) .

وقد أشار ابن جبير في رحلته إلى هذا النوع من التهديد الأمني ، وذكر أن المتلصصين على الحجاج من الحرابة(٤) المختلسين ما بأيديهم الذين كانوا آفة الحرم لا يغفل أحد عن متاع طرفة عين إلا اختلس من يديه أو من وسطه بحيل عجيبة(٥) .

كما تشكل المكوس والضرائب شأناً مقلقاً لأمن مكة والمشاعر ، وقد حدث مبالغة في استحصالها من الحجاج في بعض السنوات ، بل وارتكبت أعمال شبيهة بأعمال اللصوص من قبل بعض من تولى تحصيل تلك الرسوم والضرائب، قال

---

(١) **شفاء الغرام** ، ج٢/٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٤٥.

(٤) الحرابة : أتباع الأمير مكثر بن عيسى الحسني وهم حملوا الحراب من الأعراب . يراجع كتاب عواطف محمد نواب . **الرحلات المغربية والأندلسية مصدراً من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين** - دراسة تحليلية مقارنة -. الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد ، ١٤١٧هـ ، ص١٤٦ .

(٥) **رحلة ابن جبير** ، ص١٠٠.

الفاسي: "كان الرسم بمكة أن يؤخذ من الحجاج على عدد الرؤوس بما ينسب إلى الضرائب والمكوس ومن دخل منهم ولم يفعل ذلك حُبس حتى يفوته الوقوف بعرفة ولو كان فقيراً لا يملك شيئاً"[1]. وتلك الضرائب والمكوس الجائرة تزداد حتى تثقل كاهل الحجاج خاصة عندما لا تصل الأعطيات إلى أمراء مكة من الأقاليم الإسلامية بانتظام ، وكان لصلاح الدين الأيوبي رحمه الله أثر في رفعها عن الحجاج في موسم عام (٥٧٢هـ)[2] ، وربما ساهم ذلك في التخفيف مؤقتاً من جنايات النهب والسرقة .

رابعاً: التهديدات الكونية (كوارث السيول والأوبئة) :

تعد التهديدات الكونية من الأخطار التي يواجهها الحجاج بصورة عامة مثل كوارث السيول والأمطار، وانتشار الأوبئة والأمراض.

ولقد رصد الفاسي مجموعة من السيول التي صحبها هدم وغرق والتي أثرت على الحياة في مكة .. ومن ذلك ما حدث في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث وقع سيل عظيم يقال له : سيل أم نهشل . دخل المسجد الحرام من أعلى مكة، وذهب بأم نهشل بنت بن سعيد بن العاصي بن أمية حتى استخرجت منه بأسفل مكة فسمي سيل أم نهشل واقتلع السيل مقام إبراهيم عليه السلام، وذهب به حتى وجد بأسفل مكة[3].

ومنها أيضاً سيل الجُحاف في سنة (٨٠ هـ) ، حيث صبّح في الحجاج يوم التروية وكانت شدته بأعلى الوادي ، فذهب بهم وبمتاعهم ، ودخل المسجد الحرام

(١) **شفاء الغرام** ، ٢٣١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٣١

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦١.

وأحاط بالكعبة ، وجاء دفعة واحدة ، وهدم الدور على الشوارع، وقتل الهدم أناساً كثيرين ورقى الناس الجبال ، واعتصموا بها ، فسمي ذلك الجحاف[1].

وجاء بعد ذلك سيل عظيم يقال له : سيل المخُبل في سنة (٨٤هـ) أصاب الناس بعده مرض شديد في أجسامهم وألسنتهم ، أصابهم منه شبه الخبل ، فسمي: المخُبل ، دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة .

وفي سنة ١٨٤هـ وقع سيل عظيم، دخل المسجد الحرام، وذهب بالناس وأمتعتهم[2].

وجاء سيل في سنة ٢٠٢هـ ، دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ، وكان دون الحجر الأسود ، ورفع المقام من مكانه لما خيف عليه أن يذهب به السيل ، وهدم دوراً من دور الناس ، وذهب بناس كثير ، وأصاب الناس بعده مرض شديد من وباء وموت فاش، فسمي ذلك السيل سيل ابن حنظلة[3].

وفي سنة ٢٠٨هـ جاء سيل عظيم والناس غافلون ؛ فاقتحم المسجد الحرام وأحاط بالكعبة وبلغ الحجر الأسود ورُفع المقام من مكانه لما خيف عليه أن يذهب به وقلع صناديق الأسواق وذهب بأناس كثيرين، وهدم دوراً كثيرة[4].

وفي موسم عام (٢٢٨هـ) أصاب الناس في عرفة حر شديد،ثم نزل عليهم مطر غزير جداً ومعه برد، واشتد البرد عليهم بعد ساعة من الحر، وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة فقتلت عدداً من الحجاج[5] .

---

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤١.

(٣) المصدر نفسه ، ٢١٢. وابن حنظلة هو : يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي. كان أميراً لمكة . توفي في شعبان سنة ٢٠٢هـ، محمد بن إسحاق الفاكهي. **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**؛ تحقيق عبد الملك ابن دهيش.- ط١.- مكة المكرمة: النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص١٠٩.

(٤) **شفاء الغرام** ، ٢٦٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ٢٦١، وذكر ذلك الأزرقي ، **في أخبار مكة** ، ص٣١١.

وفي سنة ٢٦٢هـ جاء سيل عظيم ذهب بحصباء المسجد الحرام . وفي السنة التالية مطرت مكة مطراً شديداً، ودخل السيل من أبواب المسجد، فامتلأ المسجد وارتفع الماء قريباً من الحجر الأسود[١].

وفي سنة ٢٨١هـ أصاب مكة أمطار كثيرة، وسال واديها بأسيال عظام، فكثر ماء زمزم وارتفع حتى كان قريب رأسها ، وعذبت جداً حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التي تشربها[٢].

وفي سنة ٥٢٨هـ وقع بمكة مطر سبعة أيام، وسقطت منه الدور وتضرر الناس من ذلك كثيراً[٣]. كما وقع في مكة سيول عظيمة سببت أضرارا مادية وبشرية وذلك في أعوام : (٥٤٩هـ، ٥٦٩هـ ، ٥٧٩هـ ، ٥٩٦هـ).

وفي القرن السابع الهجري تعرضت مكة لكثير من أخطار السيول الجارفة، ولعل من أبرزها ما وقع سنة ٦٦٩هـ، حيث أتى سيل لم يسمع بمثله من قبل ودخل المسجد الحرام، وخاف الناس من الهدم والغرق[٤].

وفي سنة ٧٣٠هـ جاء الناس سيل عظيم بلا مطر ... وضرب البساتين وملأ الحرم وأقام الماء فيه يومين[٥] .

ومن كوارث السيول في مكة ما حدث سنة (٧٣٨هـ) ، حيث دخل السيل المسجد الحرام من جميع الأبواب. وخلع بعضاً من أبواب الحرم وطاف بها في الماء ، وبلغ الكعبة ودخلها من خلل الباب ، وعلا الماء فوق عتبتها ووصل إلى قناديل

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢/٢٦٦.

(٥) المصدر نفسه ، ٢٦٦-٢٦٧.

المطاف، وغرق بعض المجاورات من النساء . وضرب السيل بيوتاً كثيرة ، وغرق بعض أهلها ، وبعضهم مات تحت الردم وكان آمراً مهولاً : قدرة قادر يقول للشيء كن فيكون، ولو دام ذلك المطر إلى الصباح لغرقت مكة ..."[1] .

وحدث سيل مماثل في سنة ٨٠٢هـ، حيث سال وادي إبراهيم ودخل المسجد الحرام وعمه كله ، واحتمل درجة الكعبة وألقاها عند باب إبراهيم ولولا صد بعض العواميد لها لحملها إلى حيث ينتهي ، وخرب دوراً كثيرة بمكة وسقط بعضها على سكانها فماتوا ، وأفسد أمتعة الناس ، وأفسد في المسجد الحرام مصاحف كثيرة وصلى الناس في بيوتهم للمشقة العظيمة في المشي في الطرقات إلى المسجد الحرام لأجل الوحل والطين ، ومكث الناس يومين لا يتمكنون من الطواف[2] .

ومن سيول مكة المهولة أيضاً السيل الذي وقع سنة ٨٢٥هـ، حيث ألقى في المسجد الحرام من الوحل والطين والأوساخ ماكثر التعب لتنظيفه ونقله ، كما أفسد للناس أشياء كثيرة من المتاجر والدور[3].

وكان يصاحب هذه الكوارث والسيول وقوع بعض الصواعق التي هلك على أثرها الكثير من الناس في مكة والمشاعر، كما حدث في موسم عام ٧٣٢هـ وموسم عام ٧٩٠هـ[4] .

كما رصد الفاسي الكثير من الأوبئة التي تكون في الغالب مصاحبة لتلك السيول الجارفة والكوارث التي حصدت الكثير من الناس في مكة ومن ذلك الوباء

---

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٢٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦٧.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦٨.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٦٦ .

العظيم الذي أصاب مكة سنة (٨٢٧هـ) ، ووصل عدد الموتى على إثره إلى ألفين أو يزيدون ، وكان كثيراً ما تتجمع الجنائز في صلاة الصبح أو العصر بين سبع أو أكثر وكان يموت في كثير من الأيام بضع وعشرون[١] .

على أي حال يستفاد من تلك الأحداث والوقائع التي يوردها الفاسي مدى حجم التهديدات الكونية على سير الحياة في مكة والمشاعر واستقرار الأمن فيها .

خامساً: مخاطر التدافع والازدحام:

يعد التدافع والازدحام في المسجد الحرام والمشاعر من التهديدات التي تشكل خطراً على حياة الحجاج في كل زمان ومكان. وربما يعود السبب في وقوع مثل هذه التهديدات في الغالب : إما إلى الاستعجال في إتمام مناسك الحج و العمرة؛ أو نتيجة لأطماع الخدم والسدنة في المسجد الحرام .

وقد وصف الفاسي بعض تلك التهديدات، ومنها ما حدث في موسم عام (٦٢١هـ)، وهو أن سدنة الكعبة كانوا يأخذون المال مقابل إغلاق الباب وفتحه لمن أرادوا، وكان الناس ينالون من ذلك شدة ويزدحمون عند فتح الباب ويتسلق بعضهم على رقاب بعض؛ لأن الباب مرتفع عن الأرض بنحو قامة رجل، فيقع بعضهم على بعض؛ فيموت بعضهم، وينكسر البعض الآخر[٢] .

كما يحصل التدافع أحياناً في الطواف أو السعي، ويسقط من أثر ذلك الكثير من الحجاج، ومن ذلك ما حدث في سنة (٦١٩هـ) ، حيث سقط عدد كبير من الحجاج في المسعى لكثرة الناس وازدحامهم[٣] .

---

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه ، ٢/٢٣٦.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٣٥.

وفي موسم حج عام (٦٧٧هـ) ازدحم الحجاج في خروجهم إلى العمرة من باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة فمات بالزحمة جمع كثير من الحجاج يبلغون ثمانين[١] .

على أي حال ، فإن مخاطر التدافع والازدحام في المسجد الحرام والمشاعر تعد من المشكلات التي تواجه أمن مكة المكرمة في معظم الأزمان.

سادساً: تهديدات الأمن العقدي:

يقصد الباحث بتهديدات الأمن العقدي، الأعمال والممارسات التي تؤدي إلى تهوين أمر العقيدة الإسلامية ومخالفة الشريعة الإسلامية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، وكذلك الانحرافات المؤدية إلى إثارة الفتنة، وإباحة دماء المسلمين الآمنين .

ومن ذلك محاولة توظيف مواسم الحج؛ لأجل الدعاية المذهبية والعقدية ، كما حدث في موسم حج عام (١٩٩هـ) عندما حاول دعاة الشيعة إفساد الحج ووقف الناس بعرفة بلا إمام وصلوا بلا خطبة[٢] .

كما تطرق الفاسي أيضاً إلى تهديدات مماثلة وقعت في مكة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين أيام القرامطة والعبيديين .. ولعل من أبرزها ما قام به القرامطة سنة (٣١٧هـ) من القتل والسلب والتخريب في المسجد الحرام وسكك مكة التي شهدت مقتل أعداد كبيرة من الحجاج ، وسلب حلي الكعبة والحجر الأسود، وتعطيل الخطب في مساجد مكة[٣].

ولا يخفى أن نفوذ القرامطة في هجر استمر إلى ما بعد منتصف القرن

---

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٢٤٠.

(٢) المصدر نفسه ، ٢١٦

(٣) الفاسي ، المصدر نفسه ، ٢/٢١٨ ، ٢١٩.

الخامس الهجري بقليل مع تضاؤل نشاط تلك الفئة وتقلص نفوذها، ومع ذلك بقيت مراكزها بؤراً تشيع الأفكار الباطنية التي تحتقر عقائد المسلمين وممارستهم وعبادتهم. ولم تكن أعمالهم وممارستهم مجرد مجموعة من الأعمال التخريبية الطائشة، بل جاءت على شكل أعمال منسقة، حيث تقصدوا تخريب منازل الحجاج؛ وتطاولوا حتى بلغت بهم الجرأة والاستهتار أن غزوا مكة، واستخفوا بحرمة بيت الله الحرام، وقتلوا الحجاج وأخذوا الحجر الأسود كما مر بنا .

ورصد الفاسي أيضاً الاعتداء على الحجر الأسود في موسم عام (٤١٤هـ) من قبل أحد الحجاج المصريين من الذين أفسد الحاكم بأمر الله العبيدي(١) عقولهم وعقائدهم قائلاً : "تجرأ بعض الملا حدة على الحجر الأسود بضربه بدبوس بعد ما فرغ إمام الحرم من الصلاة فضربه ثلاث ضربات وقال : "إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلي ، فليمنعني مانع من هذا ، فإني أريد أن أهدم البيت ، فخاف أكثر الحاضرين وتراجعوا عنه، وكاد يفلت فثار به رجل فضربه بخنجره، فقتله وقطعه الناس ، وأحرقوه وقتل ممن اتهم بمصاحبته جماعة وأحرقوا ، وكان هذا الرجل ممن استغواهم الحاكم العبيدي صاحب مصر وأفسد أديانهم"(٢).

كما لاحظ الفاسي أيضاً الخلاف بين العلماء في تحديد يوم الوقوف على صعيد عرفة . ففي سنة (٢٩٢هـ) وقف الناس الإثنين والثلاثاء(٣) ، وتكرر ذلك في موسم عام (٧٢٥هـ) ، حيث وقف الناس بعرفة يوم السبت ويوم الأحد بسبب

---

(١) توفي سنة (٤١١هـ) . ادعى الربوبية وأفسد عقائد الناس بمصر ، يراجع ابن الجوزي . **المنتظم** ، ج١٥/١٤-١٤١.

(٢) **شفاء الغرام** ، ٢ ، ٢١٨ ، ٢١٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٤٤ .

الاختلاف في هلال ذي الحجة[1] . وفي موسم عام (٧٢٧هـ) بات الحجاج الشاميون بمنى ليلة عرفة ولم يبت بها المصريون[2] . وفي موسم حج عام (٧٤١هـ) "وقف الحجاج المصريون والشاميون بعرفة يومي الجمعة والسبت ووقف أهل مكة السبت ولكنهم حضروا عرفة ليلة السبت"[3] .

ويبدو أن الخلاف في تحديد يوم الوقفة استمر حتى زمن الفاسي . ففي عام (٨١٢هـ) وقف الحجاج بعرفة يومين نظراً للخلاف الحاصل حول رؤية هلال شهر ذي الحجة .

يتضح مما سبق أنه لايوجد مرجعية موحدة للمسلمين في تلك الأزمنة يمكن من خلالها تحديد الوقفة ودخول شهر رمضان والأعياد، كما هو الحال اليوم - ولله الحمد والمنة - والله أعلم .

الخاتمة :

وبعد إتمام دراسة موضوع : (أمن مكة المكرمة والمشاعر في مواسم الحج من خلال كتاب: شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي) يمكن إيجاز أهم النتائج فيما يلي:

- الجهد الذي بذله تقي الدين الفاسي في جمع شتات المادة العلمية المكونة لهذا الموضوع من المصادر المتاحة والمتيسرة، والتي بدأها من عهد الخلفاء الراشدين وإلى زمانه. وقد يسر ذلك الوصول إلى الكثير من الحقائق التاريخية، وتغطية بعض الجوانب في التاريخ المكي غفل عنه المؤرخون، لاسيما من القرن الرابع وحتى القرن التاسع الهجريين، وكان لها أثر فيما دون عن تاريخ مكة في القرون اللاحقة.

---

(١) الفاسي . **شفاء الغرام** ، ٢٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٤٧ .

- كما أطلعنا الفاسي أيضاً على الكثير من المعلومات التي ربما انفرد بها عن غيره فيما يخص أشكال التهديدات الموجهة نحو أمن مكة والمشاعر خلال مواسم الحج، والتي شملت العدوان على الأرواح والنفوس والممتلكات والأمن الغذائي والعقدي .
- تعد ظاهرة الغلاء والنهب والسلب والقتل من أبرز الظواهر ، وربما استفحلت تلك الظاهرة لأسباب عدة منها : الصراع على السلطة بين أمراء مكة .. إلى جانب عمليات التهديد والإخافة التي مارسها القواد وحاشية الأمراء ضد الحجاج ؛ علاوة على ضعف الحكومة المركزية - الخلافة العباسية - في تلك العصور.
- أن التهديدات الموجهة نحو أمن مكة في مواسم الحج استمرت عبر السنين كظاهرة تؤرق الحكومات والنظم السياسية في الدول والإمارات الإسلامية التي تعاقبت ، حتى قُضي على تلك الظواهر والتهديدات ولله الحمد والمنة في العهد السعودي الزاهر ، حيث يتمتع حجاج بيت الله الحرام في العصر الحالي في ظل حكومة خادم الحرمين الشريفين بأمن وأمان ، وبكثير من التيسيرات المادية والمعنوية ؛ فمنذ قيام المملكة العربية السعودية ينعم الحجاج جميعاً بهذه النعمة التي شهد التاريخ أنها غابت عن كثير من الفترات والعصور التاريخية الماضية منذ زمن تقهقر الخلافة العباسية وتراجع دورها السياسي والأمني . نسأل الله أن يديم على هذه البلاد المباركة نعمة الأمن والاستقرار، وأن يوفق ولاة أمرنا لكل خير، وأن يرد كيد الأعداء والحاقدين في نحورهم ، وأن يهدي ضال المسلمين ويأخذ بيده إلى طريق الحق والهدى والصواب . إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ) . **الكامل في التاريخ** .- ط٥ .- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.
- ألأزرقي ، محمد بن عبد الله . **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** ؛ تحقيق رشدي الصالح ملحس .- ط١ .- دار النفائس ، د . م .
- البخاري ، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) . **الجامع الصحيح** ؛ تعليق محمود محمد محمود حسن نصار .- ط٢.- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣هـ .
- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) . أبو المحاسن يوسف . **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** .- ط١ .- القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ابن جبير ، أبو الحسن بن أحمد (ت ٦١٤هـ) . **تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، المعروفة برحلة بن جبير** .- بيروت : دار صادر ، ١٣٨٤هـ.
- الجزيري ، عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري . **درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة** .- القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها .
- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) . **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ.
- ابن حجر العسقلاني شمس الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) . **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ** .- ط١.- حيدر أباد : دائرة المعارف ، ١٣٩٥هـ .

- ـــــــ . **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة** ٠- ط١ ٠- حيدر أباد : دائرة المعارف.
- ـــــــ . **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ٠- بيروت : دار الفكر.
- ابن خياط ، خليفة (ت ٢٤٠هـ) . **كتاب الطبقات** ؛ تحقيق أكرم ضياء العمري ٠- ط٢ ٠- الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٢هـ .
- السخاوي ، شمس محمد (ت ٩٠٢هـ) . **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ٠- ط١٠- بيروت : دار مكتبة الحياة . د.ت .
- السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ) . **طبقات الحفاظ** ؛ تحقيق علي محمد عمر٠- ط١ ٠- القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ـــــــ . **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ؛ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ٠- ط١ ٠- القاهرة : عيسى الحلبي ، ١٩٦٧م .
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ) . **البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع** ٠- ط١ ٠- القاهرة : د.ت . ١٣٤٨هـ.
- ابن العماد ، ابن الفلاح عبد الحق (ت ١٠٨٩هـ) . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**٠- ط١ ٠- القاهرة : مكتبة القدس ، ١٣٥١هـ .
- الفاسي ، محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ) . **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ؛ تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، د.ت.
- ـــــــ . **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**؛ تحقيق محمد الفقي ٠- ط١ ٠- القاهرة : د.ت ، ١٣٨٩هـ.

- ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد (ت ٨٨٥هـ). **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** ·- ط١ ·- مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ) . **فوات الوفيات** ؛ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ·- ط١ ·- القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١م .
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) . **البداية والنهاية** ·- ط٦ ·- بيروت : مكتبة المعارف ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ) . **الجامع الصحيح** ·- بيروت : دار الفكر .

ثانياً: المراجع:

- بروكلمان ، كارل . **تاريخ الشعوب الإسلامية** ؛ ترجمة منير البعلبكي ·- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٥م .
- جوتشلك ، لويس . **كيف نفهم التاريخ** ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٦م .
- رستم ، أسد . **مصطلح علم التاريخ** ·- ط١·- بيروت ، د.ت ، ١٩٥٥م .
- سالم، السيد عبد العزيز . **التاريخ والمؤرخون العرب** ·- ط١ ·- بيروت : دار النهضة العربية، ١٩٨١م.
- سزكين ، فؤاد . **تاريخ التراث العربي** ؛ ترجمة محمود فهمي حجازي ·- ط١ ·- الرياض : دار الثقافة ، ١٤٠٢/ ١٩٨٢م .
- مورتيل ، ريتشارد . **الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي** ·- ط١ ·- الرياض : عمادة شئون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٥هـ .

- نواب ، عواطف محمد يوسف . **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين** .- ط١ .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٧هـ .

ثالثاً: البحوث والمقالات:

- الجو ير، إبراهيم بن مبارك . دور الأمن في نهضة المجتمع من منظور علم الاجتماع وأحداث التاريخ : بحث منشور ضمن كتاب : **الأمن العام وأثره في بناء الحضارة** .- الرياض، ١٤١٠هـ.
- عنقاوي ، عبد الله عقيل . **المؤرخ تقي الدين الفاسي وكتابه شفاء الغرام** : أبحاث الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة .- ط١ .- الرياض : جامعة الملك سعود.
- ميل وارد (Millward) . **مصادر تقي الدين الفاسي عن تاريخ مكة من القرن الرابع حتى القرن الثامن الهجري** : أبحاث الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة .- ط١ .- الرياض : جامعة الملك سعود.